ليس الغريب

لَيْسَ الغَريبُ غَريبَ الشّأمِ واليَمَنِ ... إنَّ الغَريبَ غَريبُ اللّحدِ والكَفَنِ

إنَّ الغَريبَ لَهُ حَقٌّ لِغُرْبَتِهِ ... على الْمُقيمينَ في الأوطـانِ والسَّكَنِ

سَفَري بَعيدٌ وَزادي لَنْ يُبَلِّغَني ... وَقُوَّتي ضَعُفَتْ والموتُ يَطلُبُني

وَلي بَقايا ذُنوبٍ لَسْتُ أعْلَمُها ... الله يَعْلَمُها في السِّرِ والعَلَنِ

مَا أحْلَمَ اللهَ عَني حَيْثُ أمْهَلَني ... وقَدْ تَمادَيْتُ في ذَنْبي ويَسْتُرُنِي

تَمُرُّ ساعاتُ أيّامي بِلا نَدَمٍ ... ولا بُكاءٍ وَلاخَوْفٍ ولا حزَنِ

أنَا الّذِي أغْلِقُ الأبْوابَ مُجْتَهِداً ... عَلى المعاصِي وَعَيْنُ اللهِ تَنْظُرُني

يَا زَلّةً كُتِبَتْ في غَفْلَةٍ ذَهَبَتْ ... يَا حَسْرَةً بَقِيَتْ في القَلبِ تُحْرِقُني

دَعْني أنُوحُ عَلى نَفْسي وَأنْدِبُها ... وَأقْطَعُ الدَّهْرَ بِالتّذْكِيرِ وَالحَزَنِ

كَأنّني بَينَ تلك الأهلِ مُنطَرِحاً ... عَلى الفِراشِ وَأيْديهِمْ تُقَلّبُني

وَقد أتَوْا بِطَبيبٍ كَيْ يُعالِجَني ... وَلَمْ أرَ الطَبَّ هذا اليومَ يَنْفَعُني

واشْتَد نَزْعِي وَصَار المَوتُ يَجْذِبُها ... مِن كُلِّ عِرْقٍ بِلا رِفقٍ ولا هَوَنِ

واستَخْرَجَ الرُّوحَ مِني في تَغَرْغُرِها ... وصَارَ رِيقي مَريراً حِينَ غَرْغَرَني

وَغَمَّضُوني وَراحَ الكُلُّ وانْصَرَفوا ... بَعْدَ الإياسِ وَجَدُّوا في شِرَا الكَفَنِ

وَقامَ مَنْ كانَ حِبَّ لنّاسِ في عَجَلٍ ... نَحْوَ المُغَسِّلِ يَأتيني يُغَسِّلُني

وَقالَ يا قَوْمِ نَبْغِي غاسِلاً حَذِقاً ... حُراً أرِيباً لَبِيباً عَارِفاً فَطِنِ

فَجاءَني رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَرَّدَني ... مِنَ الثِيابِ وَأعْرَاني وأفْرَدَني

وَأوْدَعوني عَلى الألْواحِ مُنْطَرِحاً ... وَصارَ فَوْقي خَرِيرُ الماءِ يَنْظِفُني

وَأسْكَبَ الماءَ مِنْ فَوقي وَغَسَّلَني غُسْلاً ثَلاثاً وَنَادَى القَوْمَ بِالكَفَنِ

وَألْبَسُوني ثِيابـاً لا كِمامَ لهـا وَصارَ زَادي حَنُوطِي حينَ حَنَّطَني

وأخْرَجوني مِنَ الدُّنيـا فَوا أسَفاً عَلى رَحِيلٍ بِلا زادٍ يُبَلِّغُنـي

وَحَمَّلوني على الأكتـافِ أربَعَةٌ مِنَ الرِّجـالِ وَخَلْفِي مَنْ يُشَيِّعُني

وَقَدَّموني إِلى المحرابِ وانصَرَفوا خَلْفَ الإِمـامِ فَصَلّى ثـمّ وَدَّعَني

صَلّوْا عَلَيَّ صَلاةً لا رُكوعَ لهـا ولا سُجـودَ لَعَلَّ اللـهَ يَرْحَمُني

وَأنْزَلوني إلـى قَبري على مَهَلٍ وَقَدَّمُوا واحِداً مِنهـم يُلَحِّدُنـي

وَكَشَّفَ الثَّوْبَ عَن وَجْهي لِيَنْظُرَني وَأسْكَبَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنيهِ أغْرَقَني

فَقامَ مُحتَرِمـاً بِالعَزمِ مُشْتَمِلاً وَصَفَّفَ اللّبِنَ مِنْ فَوْقِي وفـارَقَني

وقَالَ هُلّوا عليه التَّرْبَ واغْتَنِموا حُسْنَ الثّوابِ مِنَ الرَّحمنِ ذِي المِنَنِ

لا أمٌّ هنـاك ولاالقبر في ظَلْمَةِ أبٌ شَفيقٌ ولا أخٌ يُؤَنِّسُنـي

فَرِيدٌ وَحِيدُ القبرِ، يـا أسَفـاً عَلى الفِراقِ بِلا عَمَلٍ يُزَوِّدُنـي

وَهالَني صُورَةً في العينِ إِذْ نَظَرَتْ مِنْ هَوْلِ مَطّلَعِ ما قَدْ كان أدهَشَني

مِنْ مُنكَرٍ ونكيرٍ مـا أقولُ لهم قَدْ هـالَني أمْرُهُمْ جِداً فَأفْزَعَني

وَأقْعَدوني وَجَدُّوا في سُؤالِهِمُ مَـالِي سِوَاكَ إِلهـي مَنْ يُخَلِّصُنِي

فَامْنُنْ عَلَيَّ بِعَفْوٍ مِنك يـا أمَلي فَإِنَّني مُوثَقٌ بِالذَّنْبِ مُرْتَهـنِ

تَقاسمَ الأهْلُ مالي بعدما انْصَرَفُوا وَصَارَ وِزْرِي عَلى ظَهْرِي فَأثْقَلَني

واستَبْدَلَتْ زَوجَتي بَعْلاً لهـا بَدَلي وَحَكَّمَتْهُ فِي الأمْوَالِ والسَّكَنِ

وَصَيَّرَتْ وَلَدي عَبْداً لِيَخْدُمَهـا ... وَصَارَ مَـالي لهم حـلاً بِلا ثَمَنِ

فَلا تَغُرَّنَّكَ الدُّنْيـا وَزِينَتُها ... وانْظَرْ إلى فِعْلِهـا في الأهْلِ والوَطَنِ

وانْظَرْ إِلى مَنْ حَوَى الدُّنْيا بِأجْمَعِها ... هَلْ رَاحَ مِنْها بِغَيْرِ الحَنْطِ والكَفَنِ

خُذِ القَنـاعَةَ مِنْ دُنْيَاك وارْضَ بِها ... لَوْ لم يَكُنْ لَكَ إِلا رَاحَةُ البَدَنِ

يَـا زَارِعَ الخَيْرِ تحصُدْ بَعْدَهُ ثَمَراً ... يَا زَارِعَ الشَّرِّ مَوْقُوفٌ عَلَى الوَهَنِ

يـَا نَفْسُ كُفِّي عَنِ العِصْيانِ واكْتَسِبِي ... فِعْلاً جميلاً لَعَلَّ اللهَ يَرحَمُني

يَا نَفْسُ وَيْحَكِ تُوبي واعمَلِي حَسَناً ... بِالحَسَنِالموت عَسى تُجازَيْنَ بَعْدَ

ثمَّ الصلاةُ على الْمُختـارِ سَيِّدِنـا ... مَا وَصَّـا البَرْقَ في شَّامٍ وفي يَمَنِ

والحمدُ لله مُمْسِينَـا وَمُصْبِحِنَا ... بِالخَيْرِ والعَفْوْ والإِحْسـانِ وَالمِنَنِ